مجلة الأسرة والمجتمع
مجلة دولية محكمة نصف سنوية
تصدر بثلاث لغات
FAMILY AND SOCIETY JOURNAL
International Biannual Journal
refereed Issued in three languages
الترقيم الدولي: ISSN:2392-5337 الترقيم الإلكتروني: EISSN: 2602-6716
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/236

المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	تاريخ إرسال المقال: 28 / 02/ 2018	تاريخ القبول: 07 /06/ 2018	تاريخ النشر: 01/ 12/ 2018	الصفحة: 33 – 47

سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها).

The process of integration and stabilization of the urban family into the city suburb

خديجة بوشعالة	جامعة الجزائر2، (الجزائر)	البريد الالكتروني: icosuom2015@gmail.com

ملخص:

ينصب هذا المقال على إبراز شكلا جديدا من الهجرة ويوضح ما نجم عنها من آثار، إذ يسلط الضوء على عملية إعادة انتشار سكان المدينة نحو التخوم و الضواحي المجاورة، ويركز من خلال ذلك على اثر الهجرة الريفية على نشأة الضواحي، وحاولنا من خلال ذلك أن نظهر تلك الديالكتيكية بين نوعين من الهجرة ألا وهما الهجرة الريفية والعكسية منها، المجسدة في الجاذبية التي مارستها المدينة على سكان الريف و إعادة انتشار سكان المدينة نحو التخوم المجاورة، ومن ثم تطرقنا الى الآثار الاجتماعية الناجمة عن ذلك وانعكاساتها على الآسرة المهاجرة سواء المرتبطة بالهجرة الريفية أو بظاهرة الانتقال من المدينة الى الضاحية , كما لم يفوتنا أن نعرج على الآليات المتبعة من طرف تلك الأسر لاندماجها وسط محيطها الاجتماعي الجديد .

الكلمات المفتاحية: الهجرة الريفية، الانتشار، الضواحي، سيرورة الاندماج، الأسرة الحضرية.

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

Abstract:

This article is focusing on a new form of migration and aiming at explaining its resulting effects, as it highlights the process of redeployment of the city's population towards the suburbs nearby, it focuses on the impact of rural migration on the implantation the suburbs, we tried to assess the impact that show the dialectique between two types of immigration, but the two exodus types: the rural and reverse embodied in the attraction of the city on the rural population and the redeployment of city's population towards the suburb nearby, and then we dealt with the resulting social effects and their impact on the migrating family be it rural or transitional from the city to the suburb. We also mentioned the mechanisms followed by those families to get integrated into the center and the new social environment.

Keyword: rural exodus - spreading – the suburbs – the process of integration – family urban.

مقدمة:

إن ظاهرة الهجرة والانتقال من المدينة للسكن في الضواحي ليست بالظاهرة الجديدة سواء بالنسبة الى الدول المتطورة أو حتى بالنسبة للدول السائرة في طريق النمو، لكن الجديد في ذلك هو التغيرات الحادثة على جميع الاصعدة نتاجا لهذه الظاهرة و التي تختلف من منطقة الى أخرى ومن فترة زمنية معتبرة الى أخرى، حيث اختلفت الاسباب التي أدت الى بروز الظاهرة وتعددت متغيراتها، ثم ما فتأت أن تأكدت لنا أسباب أخرى التي انفرجت عن متغيرات تختلف عن الاولى، أو هي نتاج عنها، وفي هذا المقال حاولنا ربط هذه الظاهرة بالآثار التي أحدثتها على المحيط الاجتماعي، وخاصة فيما يتعلق بالأسرة الوافدة الى مجالها الجديد، لذلك كان لزاما علينا بداية إظهار ما مدى ارتباط الظاهرة الجديدة المتمثلة في الحركية مركز–ضاحية بالحركية ريف —مدينة أو بما يصطلح عليه بالهجرة الريفية،ثم نبرز الميكانيزمات والآليات المتبعة من طرف الأسر الوافدة بهدف خلق وسط اجتماعي ملائم .

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

المصطلحات والمفاهيم:

الهجرة الريفية: وهي عملية انتقال سكان الريف الى المدينة بفضل العوامل الطاردة التي مارسها الريف على سكانه، وبمساعدة عوامل الجذب للمدينة، وذلك بحثا عن سبل العيش المريح.

الحراك الاجتماعي: يرتبط انتقال الأشخاص من مستوى اجتماعي معين الى مستوى آخر، باستخدام آليات مختلفة من بينها استغلال الرأس المال المتراكم.

ميكانيزمات اقتصادية: الآليات التي يستعملها السكان الوافدين الى الضاحية من اجل الرفع من مستواهم الاجتماعي، مثل اقامة نشاط اقتصادي مع السكن

الآثار السوسيو–مجالية: وتتمثل في النتائج المترتبة عن الهجرة سواء تلك الريفية أو المرتبطة بانتقال سكان المدينة الى الريف، حيث قمنا بدراسة انعكاس هذه الهجرة على الجانب الاجتماعي للأسرة وعلى محيطها.

المسارات الاندماجية: من خلال النوعان من الهجرة اللذان تطرقنا لهما وجدنا أنه يوجد اختلاف في اندماج النازحين، لذلك حاولنا دراسة المراحل التي تعاقبت على عملية اندماجهم ضمن وسطهم الاجتماعي الجديد.

1.الآثار السوسيو– مجالية للحركية ريف – مدينة:

محاولة منا ربط العلاقة بين الحركية ريف –مدينة مع الحركية العكسية مركز– ضاحية والمقارنة بينهما توصلنا إلى أن الهدف من الأولى مخالف للثانية رغم أنه وليد عنها، أي أن الحركية الثانية نتيجة حتمية للأولى،ذلك أن المهاجرون الريفيون كانوا يطمحون إلى إيجاد مأوى كتمهيد لضرورة إيجاد عمل أي ان السكن مرتبط آليا بحركية مهنية، والهدف مهني اكثر منه سكني، بينما مغادرة المدينة من طرف الحضريين مرتبط بحراك اجتماعي، يخضع لعوامل تختلف عن الأولى وهي متعلقة باستراتيجيات معينة مرتبطة بميكانيزمات اقتصادية اهمها تراكم رأس المال، فالهدف من هذا الحراك هو سكني دون ربطه بإيجاد عمل بل أن العمل يتم خلقه عن طريق استثمار رأس المال المتوفر واستغلاله لإقامة نشاط اقتصادي، هذا الأخير الذي تستعمله العائلات كوسيلة للارتقاء بمستواها المعيشي، وفي سبيل ذلك تتبع ميكانيزمات معينة.

فبعد الاستقلال وبعد انجلاء المعمرين اخذ الجزائريون مكان هؤلاء، بعد ان حرروا قدر كبير من السكنات والتي معظمها شغلت من طرف الريفيين ذلك ان الحضريين اتبعوا تعليمات جبهة التحرير التي أمرت بعدم شغل

الأملاك المتروكة، لكن الدولة الجزائرية بعد ذلك هيكلت شغل المجال وأعادت تنظيمه بحيث نظمت المناطق التي شغلتها الطبقة البرجوازية الأوربية لكي تكون للطبقة القادرة على دفع إيجار مساكنها ومحلاتها المتروكة وهذا منذ 29ديسمبر 1964 بعد إعادة تنظيم ممتلكات الدولة العامة،والمواطنين الذين اخذوا سكنات الدولة أصبحوا يبحثون بعد ذلك عن سكنات أخرى ذات متطلبات معيشية اقل وتكلفة إيجارها اقل من تلك المناطق، لذلك اتجهوا نحو الأحياء الشعبية مثل باب الوادي، بلكور، القصبة، وحسين داي، تاركين تلك السكنات الراقية لأفراد لهم مستوى معيشي مناسب لها **(Faroukbenatia, (1978) P92)** وهذا ما يدعوا الى القول أن البنى الاجتماعية السائدة حاليا هي موروثة عن عهد الاستعمار، فبالرغم للشغل العشوائي لحظيرة السكنات بعد الاستقلال، مقاييس تنظيمية سرعان ما أثرت على توزيع السكان حسب مميزات اقتصادية واجتماعية فالأحياء المركزية والمحيطة بالمركز الموجود على المرتفعات خصصت للطبقات الميسورة والأحياء المتاخمة شغلت من طرف الطبقات البسيطة والمتوسطة، في حين المجالات الموجودة بالقرب من المناطق الصناعية شغلت من طرف العمال والعمال البسطاء **(Luisa amireche, (2004) p32)** ومع استمرار هذه الهجرة نحو المدينة بعد السبعينيات تفاقمت معها ظاهرة الأحياء القصديرية والبناءات العشوائية وتشبعت المدينة بعد ذلك،وأصبحت عاجزة عن استيعاب الكم الهائل من سكانها وغير قادرة على توفير المأوى والعمل لهم نتيجة للنمو الديموغرافي المتزايد اد ان انجذاب السكان نحو مناطق التصنيع خلق عدم توازن بين عدد السكنات المتوفرة وعدد السكان، ولم تكن هده النتائج الوحيدة التي انجرت عن عملية الهجرة بل انجر عنها اثار اجتماعية وسط الطبقات اجتماعية جديدة التي شكلها الريفيون المهاجرون.

وإذا رجعنا إلى المعطيات الديموغرافية نجد أن المجال الريفي عرف تغيرات مهمة في تلك الآونة،أهمها الزيادة الواضحة في عدد السكان في نفس الوقت الذي تشبع فيه المجال الحضري بشكل محسوس وبذلك ظهرت أحياء عشوائية حول المدينة، وهذا ما يوضحه **مصطفى بوتفنوشت** بقوله:" إن السكان النازحين يستقرون في التجمعات القريبة جدا من المدينة الكبرى، حقا الجزائر العاصمة يتزايد سكانها من 69 بالمائة في عشرية، و لكن التجمعات الشبه حضرية التابعة للجزائر العاصمة مثل: الشراقة، رويبة، بودواو: ثلاث مقرات للدائرة، التي رأت سكانها تنتقل من 122000 ساكن سنة 1966 إلى 358000 ساكن في سنة 1977 أي تفاقم بـ 193 %، و هذا كون لا مساواة ملاحظة بين نمو العاصمة والتجمعات الشبه حضري التابعة لها، إذ أن هذه الأخيرة ازدادت بثلاث أضعاف**(MostefaBoutefnouchet ,P61)**

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

يقر العلماء أن ظاهرة الهجرة الريفية من مميزات البلدان الحديثة الاستقلال، نظرا لعدم التوازن الذي يحدث بين الريف والمدينة على جميع المستويات سواء الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ذلك ان النمو الحضري له علاقة وطيدة بظاهرتين متضامنتان الأولى اقتصادية والثانية اجتماعية ألا وهما التصنيع والهجرة الريفية، إذ أن الظاهرة الأولى سببا رئيسيا للثانية.

وهذا راجع إلى أن تجهيزات المدينة وخدماتها القليلة والبطيئة التطور التيلم تستطيع مواكبة التطور السريع والدائم الذي عرفته في تلك الفترة، نتيجة عملية التصنيع وعجزت بالتالي عن امتصاص المشاكل اليومية التي يعيشها الريفي النازح، ولم تصل بكل ذلك الى مساعدته على الاندماج في الوسط الحضري، خاصة وهو يحيا ظروف صعبة جدا وفي مواجهة النقص في المرافق والتجهيزات الضرورية وتردي احوال العيش، وهذا ما أدى إلى ظهور آفات ومشاكل اجتماعية كثيرة، إذ وجد النازح نفسه محاطا بشبح البطالة، الأمر الذي انعكس سلبا على الأسرة الريفية النازحة أين ظهر "نوعا من تفكك الحياة الجماعية والتضامن الاجتماعي التقليدي والعائلي أساسا، ونجد آلاف الشباب يعيشون متكدسين في الشقق الضيقة التي تحمل فوق طاقتها سواء في العمارات العتيقة المتآكلة أو في الأحياء التي لم يعتني بها أو في المجموعات السكنية غير المهيأة عمرانيا، والخالية من التجهيزات والخدمات العمومية التي شيدت على عجل في السبعينات والثمانينات، هؤلاء الشباب يعيشون خيبات الأمل والتهميش في المدينة الكبرى في وقت يضعف فيه أو يتفكك التعاون الذي يشكل مرجعا اجتماعيا تقليديا، وباختصار فإن نسبة البطالة والفراغ في ارتفاع في التجمعات السكنية الكبرى مما يزيد في هشاشتهم اجتماعيا وفي استعدادهم لتفكيك الحياة الجماعية".(**الجزائر العاصمة القرن 21**، (**1998**)، **ص23**)

فباعتبار أن هذه الأسر كما سبق ذكره تعيش في سكن يفتقد إلى أدنى شروط الراحة والصحة، فكثيرا ما يتعرض أفراد الأسرة إلى الأمراض الخطيرة والأوبئة، إضافة إلى تعرض

أبناء الأسرة النازحة إلى الانحراف نظرا لحرمانهم من التعليم وهم في سن التمدرس، لبعد أحيائهم عن المؤسسات التعليمية، ونظرا لسوء المستوى المعيشي لأسرهم التي لم تتحمل أعباء وتكاليف تدرسهم.

كما تفشت بهذه الأحياء القصديرية التي انتشرت في ضواحي المدن والأحياء غير المخططة، الآفات الاجتماعية وكثرة الجرائم كانحراف الشباب والبغاء وارتفاع معدلات الطلاق الناجمة أساسا عن المشاكل الأسرية

نتيجة أن هذه الأسر وجدت نفسها في وسط يختلف تماما عن وسطها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وبصدد عادات وتقاليد جديدة تختلف عن تلك التي عهدتها في وسطها الريفي.

وأصبح هؤلاء الريفيين يعيشون في مجالين مختلفين ومتناقضين وهما مجال الاسرة التقليدية والمجال الخارجي الذي يمثل الدراسة والعمل والشارع الذي فرض قيما جديدة وشكلا مخالفا للعيش لتلك التي كان يعرفها الفرد المهاجر، وهذا ما كان له تأثير بالغ على علاقته بمحيطه الاجتماعي عموما، وأصبح هؤلاء المهاجرون يبنون مجالهم الحضري الخاص بهم "لأنه من المعروف أن أشكال التنظيم وشغل المجال تنعكس بشكل كبير على العلاقات الاجتماعية".

(Farouk, Benatia (1980), p103)

إذ كان هناك مشاكل متعلق بالهجرة فليس بالمشكل الكمي وإنما هو كيفي،إذا بسبب الهجرة الريفية العناصر الشابة والأكثر ديناميكية هي التي هجرت الريف**(Marc cote,(2008),p228)**

فبداية من السنوات السبعينيات جاءت أحداث جديدة في اتجاه معاكس من جهة الثورة الزراعية كسرت الاقتطاع الحضري من الأرياف، وبالتالي حذف مصدرا للدخل ومن جهة أخرى حصلتالمدينة على عدة مواقف وأصبحت مكان للخدمات بالنسبة لسكان الأرياف المجاورة والحضر أنفسهموضاعفت الوظائف (**مارك كوت، ص168**).

2.الاستراتيجية الاقتصادية لانتقال الاسرة الحضرية من المدينة للضاحية:

نظرا لما عرفته مدينة الجزائر من تأزم نتيجة لازدياد حجم سكانها واكتظاظهم وما نتج عن ذلك من مشاكل،راحت فئة من سكانها تبحث عن متنفس لها ونتيجة لعوامل متعددة اختارت هذه الفئة من السكان الانتقال الى للإقامة بالضاحية، حيث تباينت أهدافهم واختلفت مقاصدهم، وهذا تبعا لمستواهم الاقتصادي وظروفهم الاجتماعية.

ومثلما كان الحال في المدن الكبرى وعواصم مختلفة من العالم فان العاصمة الجزائرية مدينة الجزائر، عرفت تغيرات عديدة على جميع الأصعدة، تجلت خاصة في بنيتها الاقتصادية وفي مظهرها الحضري، هذا الأخير الذي يبرز من خلال علاقاتها مع ضواحيها المجاورة، حيث كانت هذه العلاقة قائمة دائما رغم تباينها من مرحلة إلى أخرى، ففي الفترة ما قبل الاستقلال كانت العلاقة بينهما على أساس استهلاكي ومصالح مشتركة ذلك أن

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

الريف كان يشكل مصدر تمويل المدينة بالمواد الغذائية، حتى بعد الاستقلال بقي الريف يغذي المدينة بالهجرات الدائمة، نتيجة للجذب الاقتصادي الذي مارسته المدينة على الريف،وجراء الهجرات الدائمة هذا ما تمخض عنه نمو الكثافة السكانية بعاصمة البلاد، وبالتالي ازدياد حجمها الشيء الذي أدى إلى تشبعها، ومن ثم عدم قدرتها على استيعاب العدد الهائل من سكانها الذي بقي في تزايد مستمر، هذا ما فسح لها المجال وفرض عليها التوسع باتجاه التخوم المحيطة بها وهي الضواحي الريفية المجاورة التي تحملت واستقبلت في الفترة التي تبعت الاستقلال الفائض السكاني لمدينة الجزائر، هذه الضواحي التي استغلت مجمل أراضيها، والتي وجهت نحو التعمير الحضري، وبعد تعميرها الشامل امتد توسع المدينة الى ضواحي مجاورة للأولى، وهذا ما ساهم في خلق في كل مرة ضواحي جديدة و باستمرار.

تحدد استقطاب الوافدين إلى الضواحي في بعض الميزات، إذ تعلق الأمر بالبعد المجالي وتوفر المساحات الأرضية المخصصة للبناء التي أصبحت تفتقدها المدينة، ويختلف تأثير هذين العاملين من ضاحية إلى أخرى، ذلك أن السكان الوافدين الى ضاحية المدينةاستقطبت أنظارهم إليها قربها المجالي من (مدينة الجزائر)، فهم يضمنون بذلك ازدواجية مكان الحياة حيث يستفيدون بقربهم من المنشآت القاعدية والتجهيزات الكبرى الكائنة مقراتها بمركز المدينة ويستقرون بالضاحية القريبة التي تتوفر على المساحات المتاحة للبناء، ومقارنة مع الضاحية البعيدة وهي ضاحية الضاحية فإن معظم الوافدين جلبهم إليها توفر المساحات الأرضية المخصصة للبناء، حيث لجأ هؤلاء إلى هذه الضاحية بعد ندرة هذا النوع من المساحات الأرضية بالضاحية الأولى إضافة إلى ارتفع سعرها بهذه الأخيرة مقارنة مع تلك بضاحية الضاحية، ونجد ضمن هذه المعدلة أن الوافدين إلى الضاحية يتبعون إستراتيجية اقتصادية في ذلك، حيث أنهم يستثمرون رأس المال الذي يملكونه من خلال شراء قطعة أرض وبناء عليها مساكنهم ليكون هذا المسكن قاعدة اقتصادية من خلال ربط المسكن بنشاط تجاري، إذ نجد أن معظم الوافدون يقيمون نشاط اقتصادي في الطابق السفلي لمساكنهم.

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

3.تأثير البعد المجالي والزمني على المسارات الاندماجية للأسر الحضرية بالضاحية:

إن الحركية الحضرية الاجتماعيةالتي تجمع بين المجال الحضري والشبه حضري، لم تحدث تحولات عميقة على الصعيد الديموغرافي والاقتصادي فحسب، بل انجر عنها تغيرات اجتماعيةارتبطت شديد الارتباط بالمجال وبالتغيرات الأخرى الحادثة، ذلك أن الوافدين إلى الضاحية سواء القريبة من مركز مدينة الجزائر أوتلك البعيدة عنه، في سبيل اندماجهم في محيطهم الجديد فهم يحاولون الاحتكاك مع شركائهم فيه الذين يشغلون نفس المجال بإتباع سلوكيات اجتماعيةمختلفة، من بينها اكتساب الأصدقاء، تبادل الزيارات مع الجيران إلى غيرها من السلوكيات التي تساهم في توطيد علاقاتهم مع الآخرينوهنا يتدخل عامل الزمن الذي لديه بالغ الأثر في تكيف السكان مع محيطهم الاجتماعي الجديد، فليست من السهولة بمكان أن يكتسب هؤلاء أصدقاء في هذه المدة القصيرة، إذ أن الفرد يحاول دائما التعرف على محيطه الجديد سواء من قريب أومن بعيد ويبدأ بالاحتكاك مع من في الحي قبل أن يمنح ثقته.

بما أن الفرد كائن اجتماعي بالطبع فهو يرهب التفرد والوحدة والانعزال لذلك يسلك شتى السبل للاندماج وسط محيطه الاجتماعي، وتعد عملية السعي لاكتساب أصدقاء بالمحيط الاجتماعي الجديد لهؤلاء الوافدين، من السلوكيات الاجتماعية التي تنم عن تقبل هذه الفئة الاجتماعية محيطها الجديد، ذلك أن اكتساب الأصدقاء حتى وإن كانوا من غير الجيران تساهم في توطيد علاقة الفرد مع الآخرين وتساعده على إقامة علاقات اجتماعية حسنة داخل محيطه الاجتماعي الواحدالذي أصبح يسكنه جماعات اجتماعية متمايزة من جوانب عدة، ذلك أن التماثل الثقافي يعمل على المساواة الاجتماعية بين الفئات المتمايزة والتي تشغل نفس المجال لأنه من شأنه إقرار عملية التكيف المتبادلة التي من خلالها تقلل الجماعات المختلفة ثقافيا بالتدريج اختلافاتها إلى الحد الذي لا تصبح معه هذه الاختلافات ذات أهمية اجتماعية أو ملحوظة. (**السيد عبد العاطي، السيد(1998)، ص288**).

وبما أن الضاحية أصبحت منطقة استقطاب لسكان المدينة،الشيء الذي أحدث تغيرات عديدة بها، حيث برز بها اللاّتجانس والتمايز الاجتماعي في المراحل الأولى لتوافد هؤلاء السكان، ثم ما فتئ يتلاشى شيئا فشيئا إلى أن يصل المجتمع الجديد (الضاحية) إلى التماثل الاجتماعي والثقافي، رغم أن هذا التغيير والاقتراب من التجانس والتماثل يختلف على مستوى كل من الضاحية القريبة من المركز والضاحية البعيدة، ذلك أنه يخضع إلى عاملين مهمين أولهما عامل الزمن وثانيهما يتعلق بالبعد المجالي، وبما أن السكان الوافدين إلى الضاحيتين وسكانها الأصليين يشغلون نفس المجال الشيء الذي ساعد على احتكاك بعضهم بالبعض الآخر، لذلك نلاحظ تأثير

العامل الأول تأثيرا واضحا في سرعة التكيف والتفاعل الاجتماعي بالضاحية القريبة، حيث نجد أنه كلما طالت مدة إقامة الوافدين بالضاحية كلما ساهم الاتصال الاجتماعي بين شاغلي المجال في بروز التكيف وبالتالي في التقليل من التباعد الثقافي بين هؤلاء، مقارنة مع ضاحية البعيدة، ونجد أن ابن خلدون تطرق إلى التغير الاجتماعي عند دراسته للعمران، ذلك أنه يعتبر إنكار التطور هو إنكار للحياة نفسها وهذا ما يوضحه لنا عبد الغني مغربي موضحا فكرة التغير الاجتماعي في نظرية ابن خلدون "العمران ظاهرة موضوعية بما أنه يحدد إلى حد كبير مجرى حياتنا، وقد يمكن لأناس أن يتعمدوا، تبديل حضارتهم، ولكن هذا التغير لا يكون في الحقيقة إلا تغيرا نسبيا، ولا يتسنى هذا التبديل نفسه إلا إذا أتاحت طبيعة العمران ذلك، وعليه فإن إحلال ثقافة ما محل ثقافة أخرى لا يكون شاملا لأنه لا يمَكن سوى بعض العناصر العمران الأصلي، فالفرد في بعض المجتمعات يتعلم آداب السلوك دون أن يتساءل عن تطابق أو عدم توافق هذه المؤسسة الثقافية أو تلك وقبل أن يحاول الفرد أن يغير ثقافته فإن هذه الثقافة تكون قد جعلته يتكيف معها"(**عبد الغني، مغربي(1986)، ص 17**).

وبذلك يمكن أن نستشف أن الثقافة لا تتغير تغيرا كليا، ولكن الفرد هو الذي يتكيف مع الثقافة الجديدة التي يتميز بها المحيط الاجتماعي الجديد للفرد أولسمات الثقافية التي انتقلت إليه من خلال جماعة اجتماعية أخرى، وذلك أن التغير الاجتماعي "يبدأ دائما على مستوى النسق الثقافي، أي في نطاق الأفكار والقيم، ثم يؤدي مؤخرا إلى تغير في المعايير أو قواعد السلوك "(**محمد، عاطف غيث(1986) ص،165**).

ذلك أن القادمون الجدد من الاسر الحضرية من مدينة الجزائر العاصمة إلى الضاحية القريبة أو الضاحية البعيدة (ضاحية الضاحية)، ساهموا في جلب نوع من الثقافة التي اكتسبوها في مجتمعهم (المجتمع الحضري)، وتم نقلها إلى وسطهم الاجتماعي الجديد إلا وهي الضاحية وساعدهم في ذلك تواجدهم في منطقة واحدة وتمسكهم بنوع ثقافتهم وهذا ما أدى الى بعض التغيرات الاجتماعية، في جزء من السلوك سواء سلوك السكان الجدد أو السكان الأصليين للمنطقة، وهذا نتيجة احتكاكهم وتفاعل بعضهم ببعض في المجال الاجتماعي الموحد الذي يضم السكان الجدد والسكان الأصليين للمنطقة على حد السواء ذلك أن "علماء الثقافة يثقون بما يسمونها الاحتكاك الثقافي ويعتبرونه السبب الأول في تغير الثقافات ... فالاحتكاك والتفاعل لا يحدثان في واقع الأمر بين الثقافات، وإنما بين الأفراد والجماعات داخل بناء اجتماعي مجرد يمر أيضا بعملية تغير"(**فادية، عمر الجولاني، ص 20**).

فاحتكاك الأسر الجديدة الوافدة إلى المنطقة الجديدة وهما الضاحيتان الضاحية القريبة والضاحية البعيدة من مركز المدينة، أين تكون ثقافة كل مجتمع مختلفة ولو بصفة نسبية من منطقة إلى أخرى.

لكنه أحدث تغييرا في المنطقة الجديدة (الضاحية) ذلك أن السمات الثقافية للمنطقة الأولى(المدينة) تم نقلها إلى المنطقة الثانية (الضاحية)عن طريق نواقل الثقافة وهم أفراد المجتمع الأول (المدينة)، وما ساعد في عملية انتقال ثقافة المجتمع الأول إلى الثاني قابلية أفراد هذا المجتمع للتغيير، إذ يقر بعض علماء الاجتماع أنه يتم التغير الثقافي لدى مجتمع ما عندما تصبح العناصر الثقافية القائمة يتخلون عنها ويتبنون عناصر أخرى لتحل محلها، ذلك أن سكان الضاحية وبحكم التغيرات المادية الحادثة بها مثل تبدل طبيعة العمران وتغير النشاط الاقتصادي السائد بالمنطقة سابقا من نشاط زراعي الذي أصبح شبه منعدم ليطغى عليه النشاط التجاري البحت، وهذا ما ساعد في عملية التغير الاجتماعي واكتساب أفراد المجتمع الثاني الثقافة الواردة إليهم بسهولة نتيجة الانتشار الثقافي هذا ما تؤكد عليه المدرسة الانتشارية التي جاءت كبديل للنظرية التطورية التي حولت فيما بعد إلى نظرية في التغير الاجتماعي، حيث "أكدت مدرسة **راتزل (RATZEL)** على مبدأ انتشار الثقافة، وساهم الكثير من العلماء الألمان الأمريكيين بعد ذلك في دراسة هذا المفهوم، حيث ذهبوا إلى أن الانتشار هو هجرة العناصر أو السمات الخاصة لثقافة معينة إلى ثقافة أخرى ويتم بطريقتين: إما عرضيا أو بطريقة موجهة، كما أنهم يؤكدون أن النمو الثقافي في حد ذاته ليس له وجود إلا إذا حمله أشخاص، وذلك لأنه عندما ينتقل الفرد من منطقة ثقافية إلى منطقة أخرى تنتقل معه الأنماط الثقافية التي يحملها ومما يدعم الانتشار الثقافي تقدم وسائل الاتصالالفكري وزيادة الاحتكاك وحاملي الثقافة الخارجية " (**فادية، عمر الجولاني، ص 20**).

إضافة إلى أن التغير الحادث في المنطقة الوافد إليها وهي الضاحيتان المدروستان (الضاحية الأولى و الضاحية الثانية)، أي الضاحية وضاحية الضاحية ليست بنفس النسبة ونفس الحجم والسرعة لأن الاحتكاك والتفاعل لا يتم بنفس الدرجة" ولقد ركز علماء الأنثروبولوجيا في الولايات متحدة الأمريكية في منتصف الأربعينات على أهمية الانتشار كنمط للتغير وعلى حد قول **كروبر (KREOBER)** أن الانتشار يلعب دورا هاما في عملية التغير، حيث أنه يعجل بالتغير كما أنه يلعب دورا هائلا فيثقافة الإنسان كما أوضح أيضا أن هناك ارتباط عكسي بين المسافة التي يحدث فيها التغير ومراكز الحاضرات فكلما زادت المسافة كلما قل حجم التغير.....(**عدلي، أبو طاحون، (1998) ص126**). ذلك أن الضاحية الأولى وهي الضاحية القريبة من العاصمة هذه الاخيرة وهي المنطقة التي انتقلت منها عناصر ثقافية، تم الانتشار الثقافي ونقل القيم والمعايير التي يحملها سكان

مدينة الجزائر إلى هذه الضاحية بشكل سريع، أين كان التغير الاجتماعي واضح، ذلك أن هذه الضاحية قريبة جغرافيا من المركز الحضري (مدينة الجزائر)، ولا يوجد اختلاف كبيربينهما بحكم القرب الجغرافي، في حين أن الضاحية البعيدة عن المركز يكون الاختلاف كبير بينها وبين المدينةفي جوانب عديدة لذا يكون التغير الاجتماعي والانتشار الثقافي بها بطيئا جدا .

إضافة إلى أن قبول التغيير كما يؤكده العلماء يؤدي حتما إلى سعة وسرعة الانتشار الثقافي، وهذا متوقف على الجماعتين الاجتماعية المتفاعلة فيما بينها، فالسكان الأصليين للضاحية القريبة من المدينة، الذين يتقبلون التغيرات الاجتماعية الحادثة والسكان الوافدين إلى المجال الاجتماعي الجديد يندمجون بسهولة، وهذا ما يعمل على تسريع عملية الانتشار الثقافي، كما يمكن الإشارة هنا إلى دور البعد المجالي، ذلك ان نسبة القبول تختلف من منطقة إلى أخرى حسب بعدها أو قربها من مركز المدينة، فالضاحية البعيدة عن المركز يكون الاندماج بها صعبا بالنسبة للوافدين الجدد إليها أين يكون التمايز الاجتماعي والاختلاف كبير، حيث يشكلون تكتلات وينعزلون اجتماعيا وهذا مايعرقل عملية الاتصال الاجتماعي، وبالتالي انتقال الثقافة وانتشارها في المجال الاجتماعي الجديد في حين التمايز والاختلاف يقل في الضاحية القريبة من المركز أين يكون تقبل الثقافة الجديدة سهل وسط السكان الأصليين لهذه المنطقة، هذا ماقد ينتج نوع من الثقافة الجديدة بالمجال الاجتماعي الجديد أقرها التفاعل والاحتكاك الاجتماعي بين الجماعتين الاجتماعيتين الموجودة في مجال موحد.

تتفاعل الطبقات الاجتماعية المختلفة في المجتمع مع التغير بطرق مختلفة، فالطبقات العليا مثلا أكثر احتمالا لقبول الخبرات الطبيعية الحديثة لأنهم يستطيعون تحمل تكاليفها...، ولهم أيضا وسائلهم الخاصة للحصول على كثير من التجديدات والابتكارات غير المتاحة للطبقات الاخرى، وعندما يكون الموضوع متعلقا بالثقافة المادية فإن هذه الجماعة هي أكثر تقبلا لها، ولكن كثيرا ما يكون هؤلاء تقليديين ومحافظين فهم يقنعون بوضعهم، وإذا حدث تغير كبير في مجتمعهم وطريقة حياتهم فليس هناك تأكيد بأنهم سوف يستمرون بالتمتع بمزاياهم. (**سناء الخولي (2006)، ص119**).

ويتضح هنا أنه من بين الاسباب الحقيقة التي دفعت بفئة من سكان المدينة الانتقال إلى الضاحية هي دوافع اقتصادية وذلك من خلال استغلال المسكن أيضا لاستثمار الرأس المال الذي تم تكوينه في سابق، ولأن

التواجد بمنطقة بدأت بها التجارة والصناعة في بوادرها الأولى وتلقى القبول من طرف الآخرين، فهذا شجعهم على الانتقال إليها دونها من المناطق الأخرى.

ونتيجة لذلك نجد أن معظم التغيرات الاجتماعية تحدث بالتدريج، وتظهر الثقافات درجة معينة من الثبات. هذا إلا أن قبول أو رفض أحد التجديدات هو أساس رد فعل داخلي لا يمكن ملاحظته مباشرة وإنما يمكن استنتاجه، ويكون واضحا في التعبيرات اللفظية أو أنماط السلوك الأخرى...، ويمكن استخلاص عمليتي القبول والرفض من الأحداث الخارجية التي يمكن الحصول عليها، والتي يمكن التحقق من صحتها بالملاحظة المتكررة (**سناء، الخولي (2006)، ص ص135–136**)، لذلك نجد أن درجة تقبل عملية التغير اختلفت من فئة الى أخرى، فالوافدين بإرادتهم كانت درجة المصادمات التي تعبر عن عدم التقبل تظهر أقل، حيث ظهر شكل آخر من التعبير عن نوع من فرض الذات أو شكل دفاعي اجتماعي من خلال استخدام آليات الهجوم حيث برز في بدايات ظاهرة التوافد نحو الضاحية أن السكان الجدد يحاولون فرض وجودهم في مجالهم الاجتماعي الجديد من خلال اختلاق مشاجرات مع السكان القدامى للضاحية وهذا من أجل أيضا جعل منطقة سكناهم مجالا خاصا بهم لا يطأه من هم غريبون عنه، وهذا يكون نتيجة للغموض الموجود في أذهانهم حول المجال الاجتماعي الجديد .

أما بالنسبة للفئة الثانية المتعلقة بالسكان المرحلين نجد أن ردة فعلهم تختلف عن الفئة الاولى ودرجة عدم التقبل تكون كبيرة مقارنة بها، حيث نجد أن الصراعات التي تظهر في شكل شجارات مستمرة بين سكان المجال الواحد فيما بينهم، كما كانت تظهر في البداية في رفض هؤلاء الانتقال إلى المنطقة التي تم اختيارها من طرف السلطات المعنية لترحيلهم إليها، باعتبارها منطقة لم يختاروها بأنفسهم وباعتبارها منطقة بعيدة عن المنطقة التي ألفوها وعاشوا فيها زمن معتبر، إضافة إلى أن عدم التقبل ناتج عن أن المجال الواحد تشغله فئات اجتماعية جلبت من مناطق مختلفة من المدينة، لهذا تعمل كل فئة على فرض وجودها وفرض نمط معيشي معين لتكون الفئة الغالبة.

ولا يمكن أن نغفل أيضا عن دور السكان الأصليين للضاحية في عملية التكيف وهذا يظهر من خلال مواقفهم إزاء عقد علاقات صداقة وتسهيل التكيف، ذلك أن معرفة الوافدين الجدد إلى الضاحية بأصدقاء قدماء

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

بالمنطقة قبل قدومهم إليها قد يزيد من سرعة التكيف داخل الحي، ذلك أن هؤلاء الأصدقاء قد يعّرفونهم بأصدقاء آخرين بحكم تواجدهم الطويل بالمنطقة.

رغم أن عملية الاندماج والتكيف لا تكون سريعة في الضاحية لأنه يتعلق الأمر دائما بمحيط اجتماعي وبمدى تقبل الطرف الأخر، وهم السكان الأصليين لهذه الضاحية أثناء التفاعل الاجتماعي المتبادل، لأن هذا الأخير "يشير إلى سلسلة من المؤثرات والاستجابات، والتي ينتج عنها أن الأطراف الداخلة في التفاعل سوف تكون عند نهاية الأمر مغايرة لما كانت عليه في السابق، وقد يحدث التفاعل بين الأفراد المجتمع أو بين الجماعات، بحيث تكون هناك استجابة لكل الأطراف وبالتالي محركا أو دافعا للاستجابات وتصرف الطرف الآخر. (**محجوب، عطية الفائدي (1996)، ص28**).

وهنا تظهر لنا أهمية عاملين لديهما بالغ الأثر على مساعدة الأسر الجديدة على الاندماج؛ ألا وهما عامل الزمن والمسافة الفاصلة عن مركز الانطلاق لهؤلاء، أي مركز المدينة ومكان الاستقرار ألا وهي الضاحية – أو البعد المجالي، حيث أظهر عامل الزمن تأثيرا واضحا في سرعة التكيف الاجتماعي والثقافي داخل المحيط الجديد وبرز ذلك لدى الوافدين الى الضاحية القريبة من المركز (مدينة الجزائر)، ذلك أن أقدمية هذه الفئة من الوافدين الجدد بالضاحية ساعدتهم على إبرام علاقات صداقة داخل محيطهم الجديد، حيث أن الاختلاط والتعارف بين الأصدقاء يؤدي إلى تشكيل علاقات متينة بين هؤلاء ومن ثم تمتد إلى تعارف عائلاتهم فيما بينها، الشيء الذي يساهم في توسيع علاقات العائلات الجديدة إلى أبعد من مجالها وحيها الذي تعيش فيه بعيدا عن صلة القرابة وخارج حدود علاقات الجيرة القريبة، حيث كون ذلك قاعدة اساسية وخلفية هامة ساعدت هذه العائلات على التعرف على محيطها الجديد والتكيف بسهولة في مدة قصيرة، ومن ثم على تقبل حياتها الجديدة والاندماج بسهولة وسط هذا المحيط .

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

خاتمــة:

ظهر لنا جليا تلك العلاقة الدياليكتيكية بين الحركية ريف–مدينة أو بما يصطلح عليها الهجرة الريفية وبين ظاهرة توافد سكان المدينة نحو الضواحي، إذ نجد أن الأولى سببا رئيسا في الثانية نتيجة لعدة عوامل،وبما أنالأسرالحضرية الوافدة إلى الضواحي وسكانها الأصليين أصبحوا يشغلون نفس المجال فمن الطبيعي أن يتعاملوا فيما بينهم ويحتك بعضهم بالبعض الآخر، ويعمل هذا على اقرار تعاملات جديدة بالمنطقة وإقرار سمات ثقافية جديدة تظهر إما التمايز الاجتماعي أو الانسجام والتلاؤم، وذلك من خلال سلوكيات تعاملية متعددة كتبادل الزيارات وتلبية الدعوات العامة إلى غيرها من العلاقات الاجتماعية التي ساهمت في الاتصال الاجتماعي بين السكان الأصليين للضاحيتين والوافدين إليها.

ذلك أن هذا الاندماج يخضع إلى عاملين مهمين: أولهما هو عامل الزمن ثانيهما يتعلق بالبعد المجالي، حيث أظهر العامل الأول تأثيرا واضحا في سرعة التكيف والتفاعل الاجتماعي، كما ساهم الاتصال الاجتماعي بين شاغلي نفس المجال من بروز التكيف وبالتالي من التقليل من التمايز الاجتماعي بين هؤلاء وإذ كان من شأنه إنقاص الهوة بينهم، هذه المدة التي لا يمكن التقليل من دورها في إقرار التكيف والتآلف بين أفراد المجتمع الواحد، وهذا راجع إلى ذلك التباين الثقافي والاجتماعي بين كل من السكان الأصليين وهؤلاء الوافدين إلى الضاحية، وهنا يظهر أثر العامل الثاني وهو البعد المجالي، أين تبين أن سكان الضاحية القريبة من المركز كان بها الاندماج سريع في حين الضاحية البعيدة قلت بها سرعة الاندماج، ولم يتحقق ذلك إلا بعد الصراعات التي عرفها المجتمع الواحد .

عنوان المقال: سيرورة المسارات الاندماجية لاستقرار الأسرة الحضرية بضاحية المدينة (دراسة حالة لمدينة الجزائر وضواحيها)	المؤلف: خديجة بوشعالة	المجلد: 06 / العدد: 02 / 2018	الصفحة: 33 – 47

المراجع:

1. أبو طاحون، عدلي (1998). المفاهيم والنظريات والانماط والاستراتجيات في التغير الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.

2. عطية الفائدي، محجوب(1996).**مبادىء علم الاجتماع والمجتمع الريفي**، الدار البيضاء: منشورات عمر المختار.

3. غيث، محمد عاطف(1986). **دارسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي**، بيروت: دار النهضة العربية.

4. كوت، مارك. **الجزائر المجال المقلوب**،ترجمة/ خلف الله بوجمعة، الجزائر: دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع.

5. مغربي، عبد الغني (**1986**).**الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون**، ترجمة/ محمد شريف بن دالي حسين، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

6. الجولاني، فادية عمر،**التغير الاجتماعي، مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، مؤسسة شباب الجامعة.**

7. الخولي، سناء(2006).**التغير الاجتماعي و التحديث**،مصر: دار المعرفة الجامعية.

8. السيد عبد العاطي السيد وآخرون(1998)، **علم الاجتماع**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

9. الوكالة الوطنية للنشر والإشهار(**1998**).**ANEP**.**الجزائر العاصمةالقرن 21، المشروع الحضري الكبير للعاصمة**، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية محافظة الجزائر الكبرى.

10. Amireche, Luisa (2004) « **mobilités résidentielles et structures métropolitaines à Alger** » in Alger lumière sur la ville, Alger : Ed Dalimen.

11. Benatia, Farouk (1980).**Alger agrégat ou cité** ; imprimé par le complexe graphique, Alger.

12. Benatia, Farouk (1978). **l'appropriation de l'espace à Alger après 1962**, Société Nationale d'édition et de diffusion, Alger.

13. Marc, cote (2008). **Pays paysage paysans d'Algérie**, Constantine : Ed, Media plus,.

14. Mostefa Boutefnouchet. **Système Social et changement social enAlgérie**,Alger : OPU, date non citée.